أثر الشعر في تخليد الأنساب

الأستاذ: العيد علاوي

المركز الجامعي –الطارف-

ملخص:

يأتي هذا المقال ، ليبين دور الشعر في تخليد الأنساب و التعريف بالرجال، متخذا قصيدة الديباجة المجعولة في محاسن مجاجة للشاعر عاشور الخنقي أنموذجا ، هذه القصيدة التي عرفت ببعض أعلام منطقة الشلف نحو : أبي علي بن الحسن المجاجي بهلول ، والقاضي السايح سي هني، و محمد بن علي المجاجي ، محاولين استثمار الاستراتيجيات التداولية والمنهج السيميائي في تحليل هذا النص ، وإبراز مقاصد الشاعر .

Resumé :

A la base de la connaissance des hommes, cet article traite et détermine le rôle de la poésie dans la conservation de la descendance, en prenant le poème « adibaja almajoula fi mahacini majaja » du poète Ashour Khangi comme modèle. Ce poème évoque quelques auteurs de la région de Chlef comme : Abu Hassan Ben Ali Majaji Bahloul, le juge Sayeh si Hannay et Mohammed ben Ali Majaji, en essayant d'exploiter les approches sémiologique et pragmatique comme approches dans l'analyse de ce texte, et de mettre en lumière les objectifs du poète.

مقدّمة

عني الكثير من المؤلفين و المؤرخين قديما و حديثا بتدوين سير الأعلام وتراجمهم ؛ فمنهم من ترجم للصحابة نحو كتاب أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن الأثير ، و بعضهم خص المحدثين ، و منهم من ترجم للقراء نحو غاية النهاية لابن الجزري ، و هناك من صنف في النحاة و الأدباء نحو: بغية الوعاة في معرفة الأدباء و النحاة ، و بعضهم الآخر ترجم للرجال و الأعلام بمختلف توجهاتهم و فنونهم كالذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء، و ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، و كذا كشف الظنون لحاجي خليفة ، والأعلام للزركلي ...من هذا كله تتجلى المكانة التي تحظى بها سير الأعلام و تراجمهم حتى أن أحد العلماء قديما قال : سير الرجال خير لي من كثير كتب الفقه .

الشعر و تخليد الأنساب :-

لا يذكر الشعر إلا و يذكر العرب ،"فالشعر ديوانهم و ترجمان مفاخرهم و خزانة معارفهم"[4] و لعل ما يبرز مكانة الشعر قول القائلين : "إن العرب كانت لا تبارك إلا لثلاث : غلام يولد أو فرس تنتج و شاعر ينبغ "[5] ،و قد جعل الأصفهاني الشعر في مقدمة علوم العرب عند حديثه عن علوم الأمم قائلا[6]:

الروم : لهم الطب ، والنجوم ، والألحان ، والبناء العجيب، والرأي، والمكيدة.

الفرس : لهم العقول، والأحلام، والسياسة، و ترتيب العلوم .

اليونان : كانوا ذوي أذهان بارعة ،و لهم القبانات ، وآلات الرصد ، والطب، و الحساب، و الهندسة، و آلات الحرب .

الصين : هم أصحاب الأعمال كالسبك، و الصياغة، و الإذابة، و الأصباغ، والخرط، و النحت، و الخط، و النسج.

الهند : لهم معرفة الحساب، و النجوم، و الخط الهندي، و أسرار الطب، وعلاج فاحش الأدواء، و الرقى، و خرط التماثيل، وطبع السيوف، والشطرنج...

أما عن **العرب** فالشعر في المقدمة لهم علم بديع الشعر، و بلاغة المنطق، و تشقيق اللفظ ، و تعريب الكلام ، و قيافة الأثر، و صدق الحس، و صواب الحدس، و حفظ النسب، و مراعاة الحسب، و حفظ المناقب والمثالب، وتعرف الأنواء... الخ.

و ذهب الجاحظ في كتابه الحيوان إلى تبرير نبوغ العرب و براعتهم في الشعر بأن وضع الشعر من العرب في تخليد أثارهم موضع البناء من العجم في أداء الغاية نفسها ، و تخليد الأثر عند كل أمة غاية فطرية من غاياتها الأولى تكاد تلازمها من باكورة تنبهها و مستهل تاريخها، و في هذا الشأن يقول: " كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها و تحصين مناقبها على ضرب من الضروب و شكل من الأشكال، و كانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون و الكلام المقفى، و كان ذلك هو ديوانها ... وذهبت العجم على أن تقيد مآثرها بالبنيان فبنوا كردييداد (...) ثم إن العرب أرادت أن تشارك العجم في البناء، و تنفرد بالشعر، فبنوا غمدان ، و كعبة نجران، و قصر مارد، و قصر الشعوب، و الأبلق الفرد ، و فيه و في مارد قالوا تمرد مارد، و عز الأبلق، و غير ذلك من البنيان...)[7]

من خلال هذا القول يبدو أن العرب جمعوا بين الحسنيين؛ نافسوا غيرهم في البناء؛ و تفردوا بالشعر، كما نستشف من قول الأصفهاني أن حفظ النسب من علوم العرب بعد أن جعل الشعر في المقدمة، و قد بين العلماء العرب في أكثر من موضع و في أقوال عديدة أن العرب استعانوا بالشعر في حفظ الأنساب، و في هذا السياق يقول ابن فارس: " و الشعر ديوان العرب، و به حفظت الأنساب و عرفت المآثر و منه تعلمت اللغة ، و هو حجة فيها أشكال من غريب كتاب الله و غريب حديث الرسول صلى الله عليه و سلم و حديث صحابته و التابعين....."[8]

و تجدر الإشارة في هذا المقام إلى وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ حيث كتب إلى أبي موسى الأشعري "مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق ، و صواب الرأي و معرفة الأنساب [9] و مما تقدم تبرز المكانة التي يحظى بها الشعر في حفظ الأنساب، فالأدب – الشعر– يرفع الوضيع و يضع الرفيع [10].

و صدق الشاعر حين قال[11]:

كم خسيس وضيع ليس له في العز أصل و لا ينتمي الى حسب

قد صار بالأدب المحمود ذا شرف عال و ذا حسب محض و ذا نسب

وممن رفعه الشعر بنو أنف الناقة [12] ، فقد روي أنهم كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى إن الرجل يسأل ممن هو؟ فيقول من بني قريع، يتجاوز جعفر أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك و يلغي ذكره فرارا من هذا اللقب إلى أن نقل الحطيئة (جرول بن أوس) أحدهم و هو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته، وأحسن إليه فقال الحطيئة:

سيري أمام فإن الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسبون أبـــا
قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم و من يساوي بأنف الناقة الذنبا[13]

و أشهر من وضعهم بعد عزة ورفعة بنو نمير، و قصتهم مع جرير مشهورة مذكورة ، فمذ قال جرير لأحدهم :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

صار الرجل من بني نمير إذا قيل له ممن الرجل؟ قال من بني عامر.

فهم بنو نمير بن عامر بن صعصعه و هم إخوة كعب و كلاب [14]

2- عاشور الخنقي و قصيدته طراز الديباجة :

عاشور الخنقي : واحد من علماء الجزائر في زمانه الذين كان لهم اشتغال بالدين و السياسة و هو فقيه مالكي معتبر اشتغل بالحديث و لد بخنقة سيدي ناجي – بسكرة- في 1264 هجري 1848 م و توفي في 1348 هـ – 1929 م نشأ بقسنطينة و بها تعلم، ثم انتقل إلى نفطة بتونس لطلب العلم ، ثم نفاه الفرنسيون إلى الأغواط [15] .

ويذكر أن الخنقي عاصر البشير الإبراهيمي فترة من الزمن، و كان عاشور يكبره سنا و في الوقت الذي كانت فيه شهرة الخنقي ذائعة بسبب مسألة الأشراف كان الإبراهيمي تلميذا في زاوية ابن علي الشريف بآقبوا أو مراهقا في معاهد سطيف، و لم يكن (منار الأشراف) – قد طبع (..)،و قد أشاد الإبراهيمي بشعر عاشور و قوة عارضته لولا أنه استعمل قلمه كما قال في موضوع لا طائل من ورائه[16] .

لم يكتب عاشور الخنقي الشعر فقط؛ بل كتب النثر أيضا رغم إن نثره قليل، و يظهر أسلوبه النثري في مقدمات ديوانه (منار الأشراف)، و في

نقده لحالة العلم و اللغة و الأدب التي عليها الأدباء و في رسالته عن البوازيد[17].

و يظهر مما سبق أن عاشور عني بالدفاع عن الأشراف، و زاوية الهامل كانت لها يد في ذلك كما أقر عاشور نفسه بذلك [18]، و ماقصيدته " طراز الديباجة المجعولة في محاسن مجاجة" إلا دليل على ذلك ، و هي قصيدة طويلة عدد أبياتها تسعون (90) بيتا ، و هي من بحر البسيط (و جدير بنا أن نشير إلى أن القصيدة شابتها بعض الكسور العروضية) ، استهلها الشاعر بقوله:

الله أكبر كل الحسن في العرب و أكمل الحسن في أشرف النجب

و اختتمها بقوله :

ما قال قائل فردا و مجتمعا الله أكبر كل الحسن في العرب

والمنعم للنظر يجد إن الشاعر جعل صدر البيت الأول عجزا للبيت الأخير، و في هذا تكرار و عطف النهاية على الاستهلال.

ومن بلاغة التكرار التأكيد و إحداث التماسك بين أجزاء النص، و من هنا نستشف أيضا أن الشاعر بنى معمارية نصه على منوال معمارية النص التقليدي الذي كان يركز على المطلع و النهاية .

و المتأمل يجد إن الشاعر اتخذ حرف الباء رويا لقصيدته ،و حرف الباء صوت شفوي كما هو في عرف علماء الأصوات، و بهذا فمخرج الباء مخرج ظاهر ، و في هذا مؤشر سيميائي يطلعنا أن الشاعر اختار الصوت ذا المخرج الظاهر ليمدح ظاهر النسب – أشراف مجاجة – ،و بعبارة أخرى اختار الظاهر ليمدح و يظهر الظاهر، و ما يعضد هذا قول الشاعر:

أبو علي عالي القدر و النسب

و قوله :

عليا هما فيه من فضل و من نسب

و قوله:

و العز رائدهم في حضرة النسب

و قوله :

ما مثلهم في الثرى في الفضل و النسب

و لعل هذه الأشطر تدل دلالة واضحة على أن الشاعر يبغي رفع شأنهم و إظهارهم، و لعلنا لا نجانب الصواب إذ قلنا ما من شاعر أراد أن يمدح ويظهر ممدوحه و يرفع من شأنه إلا اختار له أفضل الصفات، و أجمل العبارات– و هذا ما نجده في هذه القصيدة – و أبدع الصور و التشبيهات ، و أحسن الأصوات، و قد اختار البوصيري و من بعده أحمد شوقي صوت الميم رويا لبردتيهما، و هو صوت يشاكل الباء في المخرج – وهذا من أجل إظهار محاسن الرسول(ص) .

3- العملية الشعرية بين فعلي الإنتاج و التلقي:

إن العامل الإبداعي شعرا كان أو نثرا لا قيمة له إلا باندراجه ضمن الشبكة التواصلية ، أي بالتفاعل الذي يحصل بين أطراف العملية الإبداعية من مبدع منتج و قارئ متلق مستهلك منتج في الآن نفسه ، و من أجل أن يحدث هذا التفاعل عادة يوظف المبدع بعض الآليات التي تساعد القارئ على الولوج إلى عالم النص و إدراك مقاصده و من هذه الآليات التي عرفت عند علماء البحث التداولي:

- آلية التضامن
- آلية التوجيه

آلية التلميح

آلية الإقناع

و سنحاول الكشف عن هذه الآليات في القصيدة محل الدراسة.

I- قاعدة التضامن : و معنى هذا أن يتضامن وأن يشارك كل من المبدع والمتلقي في استعمال اللغة ، و لعل هذا يتطابق مع مبدأ التعاون عند غرايس فمبدأ التعاون (المشاركة) co-operative principle يعد أساس العملية الكلامية ؛ إذ يربط بين أطراف الحوار و يجعلهم في تواصل مستمر مما يضمن لكل طرف الحق في المشاركة في الحوار و إعطاء الفرصة للآخر[19] ‘فبالتضامن يحاول المرسل أن يجسد علاقة مع المرسل إليه إجمالا ،فالتضامن هو محاولة التقرب من المرسل إليه ، و تقريبه ، و إذا كانت العلاقة بسيطة بين طرفي الخطاب أو لا يوجد بينهما أي نوع من أنواعها ،فإن المرسل إليه يسعى إلى تأسيسها بالتلفظ بالخطاب ، بأن يتقرب من المرسل إليه بما يجعله واثقا بأن المرسل يميل إليه ميلا طبيعيا خاليا من أي دوافع و أغراض منفعية [20] .

و يتجلى التعاون أو التضامن في القصيدة عندما وظف الشاعر أسماء الأعلام و الكنى و الألقاب ، و أسماء الأمكنة، و كل هذه الأشياء تجعل المتلقي يسبر أغوار النص و يشق طريقه لفهم مقاصد المبدع و هي كالآتي :

1- **أسماء الأمكنة** : ذكر الشاعر عاشور الخنقي مكانين في القصيدة؛ أولهما الأصنام ، و قد جاء ذكرها في أربعة أبيات قال فيها :

من أهل دائرة الأصنام آونة آل العرف بالبهلـــــــول في العـــرب
الفاضل الشهم الأمير عـــلى من حل دائرة الأصـــــــنام من شعب
و العالم العامل ابنه مباشرة أقضى القضاة على الأصنـــام و النصـــب
و لم يكن منه إلا من رأيتها بالعين في حضرة الأصنـــــام من نسب

و المكان الآخر الذي جاء ذكره في القصيدة هو "مجاجة" ، فقد ذكره الشاعر في العنوان باعتباره عتبة نصية " يقدم معونة كبرى لضبط انسجام النص و فهم ما غمض منه ، إذ هو المحور الذي يتوالد و يتنامى و يعيد انفتاح نفسه ، و هو الذي يحدد هوية القصيدة ، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد و الأساس الذي تبنى عليه القصيدة "[21] .

فقال الشاعر " طراز الديباجة المجعولة في محاسن مجاجة " ، و ذكره في ثلاثة أبيات حيث قال :

لكن أكملهم حسنا و منقبة أشراف **مجاجة** في أشرف الحقب
ياليت **مجاجة** الغراء ترحمه إن احتاج الشريف الطريق و بي
جل الذي خلق الإنسان في كبد وأهل **مجاجة** في المال والطرب

فذكر هذين المكانين يساعد القارئ، و يوصله إلى أن النص يعنى بمدح أشراف مجاجة

2- ذكر أسماء الأعلام و الكنى: لم يقف عاشور الخنقي عند ذكر الأمكنة بل تعداه إلى ذكر أسماء الأعلام و هذا من شأنه أن يقرب الصورة أكثر إلى المتلقي و يتركه يعيش في جو النص، و من هذه الأسماء و الكنى نذكر:

*- **البهلول** : و ذلك في قوله :

من أهل دائرة الأصنام آونة آل العرف بالبهلول في العرب

فسامع هذه اللفظة ينصرف ذهنه مباشرة أو يطفق باحثا إن كان جاهلا بها إلى أن يصل القبيلة المجاجية البهلولية التي خرجت أعلاما أجلاء من أمثال : أبي علي بن الحسن المجاجي البهلول صاحب كتاب العقد النفيس في بيان علماء و شرفاء غريس و محمد بن علي المجاجي المعروف بالبهلول كما عرف بـــ (سفيان العابدين)، و أن الناس كانوا يعتقدون فيه العلم والصلاح والزهد، كما وأنه كان بالإضافة إلى العلوم الشرعية عالما بالنحو، والمنطق، و الشعر، و من شعره قصيدة طويلة يشكو فيها إلى الله من أهل وقته شأن معظم المرابطين عندئذ و بدايتها :

أفوض أمري للذي فطر السماء[22].

و كثيرا ما يشيع استعمال الكنى في المجتمعات وذلك إما للتعبير عن الاحترام و التقدير، و إما للتعريف بابن الشخص أو بأبيه أو بنسله . و ما توظيف الشاعر لبهلول إلا إعراب عن تقديره و احترامه لهذه القبيلة، و لم يغفل الشاعر في إعراب احترامه و تقديره عن توظيف المعجم الصوفي؛ لإضفاء صفات صوفية بدل الأسماء و من ذلك:

*- **صفة قطب** ؛ إذ وردت في البيتين الآتيين :

قطب العوالم مولانا الهمام علي وهل لشمس الضحى في الصحو من طلب؟
قطب المدار شهيد الدار محتسبا لله فيـما بـــه أفتـــى لمغتصـــــب

فمفردة "قطب" تدل على عالم من علماء الصوفية[23] و هذا ما يطلعنا أن القصيدة تأخذ بصمة صوفية، و من هذه الصفات الصوفية أيضا نذكر :

*- **صفة بحر** ؛ فقد ذكرها الشاعر مادحا أبا علي بن الحسن المجاجي قائلا:

بحر الهدى و الندى و العلم قاطبة أبو علي عالي القدر و النسب

فلفظة **(البحر)** في العرف الصوفي تدل على لا نهائية المعارف ، و تذكر مقترنة مع عدم وجود الشاطئ ، و يعني ذلك أن الحال الذي خصهم به الله من التعظيم و خالص الذكر له و الانقطاع إليه لا نهاية له و لا انقطاع[24].

إضافة إلى ما تقدم صرح الشاعر باسم سفيان العابدين محمد بن علي المذكور سلفا واصفا إياه بالعلم و العمل و ذلك بقوله :

و العالم العامل الأربا على الأربا محمد بن علي أعجب العجب

كما عرف الشاعر بأحد أعلام هذه القبيلة وهو " الشيخ هني" فقال :

الشيخ هني الهنا في سلالته بالآل و المال أعقابا على عقب

و لم يقف عند هذا بل كناه بكنيته و هي " أقضى القضاة"

واصفا إياه بالعلم و العمل أيضا فقال:

و العالم العامل ابنه مباشرة أقضى القضاة على الأصنام و النصب

II- **قاعدة التوجيه** : يعدد الخطاب التوجيهي ضغطا و تدخلا و لو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه و توجيهه لفعل مستقبلي معين[25] ، فبالفعل التوجيهي يحاول المتكلم أن يجعل السامع يقوم بأشياء ما ، فهو فعل إرشادي مثل الأمر و النصح و نظيريهما[26] كالنهي و الاستفهام...

*- **فالأمر** في القصيدة يظهر من خلال توجيه الشاعر للمتلقي بالزيارة والإحراز و ذلك في قوله :

فخر الوجود أبو السعود منه إلى هذي العهود فزر و أحرز و لا ترب

و قال داعيا إلى الاقتراب و الأخذ و الصب و الشرب :

ياذا المحيا دخلت الحي فادن و خذ كأس المحيا فصب و اشرب و لا تهب

و أردف موجها إلى الانسراب و التحديث عن شمائل آل مجاجة، و ذكر مناقبهم، و كراماتهم، و جودهم، و شمائلهم، قائلا :

علا على نهر و أدرج على مهـل حتى إذا كنت شيخ الحي فانسرب
حدث بما شئت فيه عن مناقبـــه وما له من كرامات و من عقـب
حدث على جوده ما شئت من جمل وعن شمائله متا شئت من نخـب
قل هو كالغيث لـــولا القحط يعقبه أو كالبحر لولا خشية العطـــب

فالمتأمل لآلة الأمر التوجيهية يجد أن الشاعر يوجه سامعه مباشرة إلى تبني اعتقاده. و تجلى ذلك بوضوح في بيت من الأبيات الأخيرة قال فيه :

كن يا غريب ثراهم في جوارهم بالعيش تحت ظلالهم بلا تعب

*- **أما النهي** و الذي يأخذ معنى الردع أو الزجر بأن يحاول المتكلم صرف سامعه عن أمر لا يريده، فقد وجه الشاعر سامعه و مخاطبه إلى عدم الريبة و الشك و درأ المهابة فقال :

هذي العهود فزر و أحرز و لا ترب
كأس المحيا فصب و اشرب و لا ترب

إلى جانب هاتين الآلتين استعان الشاعر بالنداء للفت انتباه السامع و شده إليه قائلا:

ياذا المحيا دخلت الحي فادن و خذ

و قوله :

كن ياغريب ثراهم في جوارهم

و في هذين البيتين دعوة إلى الانتباه واستماع ما يقال و تحقيق ما يراد.

كما استعمل الشاعر آلة الاستفهام ؛ إذ تستعمل هذه الآلة من باب التشكيك، و مقتضاها أن تجعل المخاطب يختار بنفسه، و تقتضي أن يتجنب المتكلم أساليب التقرير و يأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككا [27] ، أو منكرا وفي هذا الشأن قال :

قطب العوالم مولانا الهمام علي و هل لشمس الضحى في الصحو من طلب ؟

فبدل أن يقول الشاعر مقرارا " **لا طلب للشمس في الضحى** " تساءل منكرا، فالتساؤل هنا فعل لغوي غير مباشر ؛ إذ لا ينتظر منه جواب بقدر ما يدل على التلميح .

III – **قاعدة التلميح** : وقد تسمى بقاعدة التعفف FORMLITY و هي أحد القواعد السائدة في الحقل التداولي و التي فضل ترجمتها بالتعفف بدل التأدب بالآداب العامة؛ و هي التي توجب على المتكلم أن لا يستعمل من العبارات إلا ما يمكنه من حفظ مسافة بينه و بين المخاطب و لا يحمله على فعل ما يكره، و لا يستعمل عبارات الطلب المباشرة، و لا يقتحم عليه شؤونه إلا باستئذان [28] ، و قد يدخل التلميح تحت هذه القاعدة ، فهو استراتيجية غير مباشرة ؛ فالمرسل عند إنتاج خطابه لا يتجاوز نوعين من حيث شكل الدلالة فهي :

إما إستراتيجية مباشرة يتضح فيها القصد مباشرة دون عمليات ذهنية للاستدلال عليها ، وإما إستراتيجية غير مباشرة تحتاج من المرسل إليه عملا ذهنيا يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد[29] ، و قد سبقت الإشارة إلى الفعل اللغوي غير المباشر

– الاستفهام – الذي لا ينتظر منه جواب بقدر ما يدل على التلميح في القول سابق الذكر:

و هل لشمس الضحى في الصحو من طلب ؟

و قام الخطاب التلميحي في القصيدة على جملة من التعبيرات الصوفية التي وظفها الشاعر، و قد سبقت الإشارة إليها و منها (قطب، بحر، الهمام، مولانا،...).

ومن الألفاظ التي توسل بها الشاعر لتحقيق مقاصد خطابه بعض أسماء الحيوانات التي توحي بالقوة، و منها (الليث ، الضرغام) و ذلك في قوله :

الليث معركة الطود معرفة البحر عارفة من كل مكتسب

سيف المعارك ضرغام المعارك في كل الممالك من رعب و من رغب

و كذا استعماله الألفاظ و الصفات التي تشي بالجود، و العطاء، و علو الكعب، و البطولة، و علو القدر، و هي (الغيث ، طول الباع، عالي القدر ، الفارس البطل،...) ،و ذلك في الأبيات التالية :

محمد الغيث إن يجد على طـــــرب لكنه الليث إن يحمد على غضب

العالم العامل الفرد المشار لـــــــه في كل علم بطول الباع و الدرب

بحر الهدى و الندى و العلم قاطبــة أبو علي عالي القدر و النســب

الفارس البطل حامي الذمار و إن ينأ ابن عشيط العالي على الشهــب

و كلها ألفاظ تفخيمية تلميحية استنجد به الشاعر من أجل تحقيق مراده ومبتغاه . و للغاية نفسها حاور الشاعر النص القرآني و الحديث النبوي الشريف، و هذا ما يعرف في عرف النقاد بالتناص أو الاقتباس أو التضمين ...من أجل التلميح لبعض المقاصد التي يريد تحقيقها، و من ذلك تضمين قوله تعالى: «ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » النجم/09 في قوله :

حتى دعته العلا و رج به في قاب قوسين أو أدنى فنودي بي

و كذا محاورته لما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال :" ماسئل رسول الله صلى الله عليه و سلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه ، قال فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال يا قوم أسلموا، فإن محمد يعطي عطاء لا يخشى الفاقة[30] ، و تقاطع الشاعر مع هذا بقوله :

يعطي عطاء مليك لا يخاف به فقرا على العزم كي يغني عن الطلب

IV – قاعدة الإقناع : يعد الإقناع أحد الشروط التي يقتضيها التداول، و قد رأى طه عبد الرحمن أنه على الطرف المحاور أن يسلك سبل الإقناع بتقديم الحجة و الدليل لإقناع الطرف الأخر و حمله على تبني اعتقاده[31] ، و من أجل أن يجعل الشاعر خطابه ممكنا و يحقق إنجازا من خلاله، وهو تقدير أشراف مجاجة؛ عمد إلى الاستفهام و إلى حجة واقعية منطقية حيث قال :

قطب العوالم مولانا الهمام علي و هل لشمس في الصحو من طلب ؟

فلا مرية أن الإنسان لا يطلب الشمس في الضحى ؛ بل يطلبها في الدجى و الحالكات ، و بهذا يكون الشاعر قد لجأ إلى التقرير بطريقة غير مباشرة . و بما أن الهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المرسل إليه ، فالشاعر وظف أسلوب القسم من أجل أن يصدق ، فاقسم بلفظ (والله) في أكثر من بيت قائلا:

و الله لو سمعت أنفاثه أســـــد مثل ابن ساعدة قالوا لانت نبـــــــي
و الله ما قصة تحكى بحضرتــه إلا و أنشدهــا من حكمــة الــــــعرب
و الله لو صوروا بالقصد أنفسهم ما زاد أحذقهــم عن هذه النصـــــب
و الله لولا افتراق ذات بينهـــم ما مثلهم في الثرى في الفضل و النسب

و الظاهر أن الشاعر حشد أكبر عدد من الآليات للاستحواذ على قارئه وجعله يتبنى ما يعتقد.

إلى جانب هذا استخدم الشاعر في خطابه الحجاجي حجة واقعية منطقية فقال:

إن الظواهر عند الناس ترجمة على السرائر من صدق و من كذب

فمعلوم أن الظواهر أحيانا تدل على الباطن، فكل وعاء بما فيه ينضح.

يضاف إلى هذه الحجج الواقعية و القسم الذي استند عليه الشاعر اعتماد الشاعر على الصورة البلاغية التي تأخذ أبعادا حجاجية و من هذه الصور نجد التشبيه في قوله:

قل هو كالغيث لولا القحط يعقبـــــه أو كالبحر لولا خشيـــة العطـــب
بل كالربيع المريع المرتقـــــى دولا للخلق من كل سيار على الـــــدرب
أخلاقه اللطف مثل الزبد في عســـل أو كالنسيم على الأعشاب والقضب
و البشر في الوجه مثل الماء منحدرا و العدل بين عتي الناس والتـــرب

و في التشبيه البليغ قال :

أخلاقه درر أحواله غرر أقواله طرر في هامش الكتب

و المتأمل يجد بأنه جعل ممدوحه غيثا و بحرا و ربيعا ،وأخلاقه مثل الزبد في عسل ، و كالنسيم على الأعشاب ، و صور بشر وجهه مثل انحدار الماء ، و هذا كله من أجل إغراء المتلقي و جلبه إلى اعتقاده ، وواصل مدحه لآل مجاجة مستندا إلى التشبيه البليغ فقال :

و الحاصل الناس أمثال المعادن هم إكسيرها حيث ماتصحبـــه تلتهـــب
أو فضة و هـــم الإبريـــز أو ذهـــب و هتم يواقيت ترصـــع على ذهـــب
النـــاس بز و خز و الحرير هـــــم النـــاس در و هـــم فرائد السخـــب
الناس مثل النجوم هم بدورهـــــــم أو كالبدور و هـــم شمس و لم تغب
الناس أعضاء جسم هـــم قلوبهـــم أو كالقلوب و هم كالروح في الحجب
لهم وجوه كأمثال البدور بهـــــــا لكنها في سنهاهـــا سطوت الشهب

و المتتبع يجده وازن الناس بأشراف مجاجة، و خصهم –أشراف مجاجة– بجميل الأوصاف؛ ليبين قدرهم للسامع ويجعله يتخذ موقفا من خطابه، والجدول الآتي يوجز هذه الأوصاف:

الناس	أشراف مجاجة
الناس أمثال المعادن	هم إكسيرها
الناس فضة	هم الإبريز
الناس ذهب	هم يواقيت ترصع الذهب
الناس بز و خز	هم الحرير
الناس در	هم فرائد السخب
الناس مثل النجوم أو كالبدور	هم شمس لم تغب
الناس أعضاء جسم	هم قلوبهم
الناس كالقلوب	هم كالروح

و واصل الشاعر وصفهم بجمل قصيرة متشاكلة متوازية أحدثت نغما إيقاعيا رائعا و بديعا حيث قال:

و اللطف حليتهم و الصدق شيمتهـــم و الرفق زينتهـم في كل مجتنـــب
و الفضل رائدهم و النضل شائدهـــم و العز رائدهـم في حضرة النسـب
و الشرع رائدهم إلى المراد بهـــم و العقل ذائذهـــم عن كل مجتنـب
و العلم ميدانهم و الجود ديدنهـــم و العلم معدنهم في السلم و الغضـب
و السعد قادمهم و الكون خـــادمهم و المال صادمهـــم في كل منقـلب

كل هذه الأدلة اللغوية وظفها الشاعر من أجل أن يعرف بأهل مجاجة ويقرب الناس إليهم.

خـــــــاتمة:-

هذا هو عاشور الخنقي، و هذه قصيدته التي عرف فيها ببعض أشراف مجاجة، و عدد خصالهم و حشد ما لديه من إمكانات من أجل أن يحمل

القراء على محبتهم، و لا يسعنا إلا أن نقول إن كانت هذه خصالهم وصفاتهم، فقد أحببناهم ، كما نوجب المحبة لكل من تحلى بها ناظرين بعين الشفقة و الرحمة لمن لم يتحل بها .

الهوامش و المراجع

1- مجاجة : اسم لمكان و ليس اسم ساكنيه ...يقطنها خليط من الناس و الأشراف فيها عائلات معروفة، و هم شديدوا الحفاظ على أنسابهم (...)، و اسم مجاجة ليس بربريا، ولم يكن القاطنون بها من البربر أيام قدوم الأشراف الأدارسة إليها، فشمال ما هو حاليا الشلف – الأصنام سابقا- تعرضوا للغزو الهلالي قرونا قبل ذلك، و كانت العطاف منطلق الاجتياح لذلك تجد أسماء كل ما يليها من مناطق عربية ، وادي الفضة ، أم الدروع ، مجاجة ، أولاد فارس ،...، بينما مناطق الجنوب و أقصى الشمال بربرية الاسم إلى اليوم نحو: سنجاس ، تمدرارة ، تيسيغاوت ، ...و ذهب بعض الرواة إلى أن مجاجة سميت بهذا الاسم لاعتقادهم أنها تمج الباطل أي تلفظه ، و بعضهم ذهب إلى أنها سميت بهذا لوفرة مياهها ، فالمجاجة الأرض الوافرة مياهها، و منطقة مجاجة مشهورة بالعلم والجهاد؛ فقد كان لأهلها اليد الطولى في جهاد الغزاة الإسبان، وكذا محاربة الفرنسيس إبان الاحتلال .ينظر boudali02.googlepages.com/

2- أحمد بن يحيى الونشريسي (834 هـ - 914هـ)(1430 م – 1509م) من كبار علماء مستهل القرن السادس عشر الميلادي و العاشر الهجري ، فقيه مالكي من كبار فقهاء عصره ، حامل لواء المذهب المالكي في المغرب العربي آنذاك ، ولد و تعلم وتربى و نشأ بتلمسان ، و أخذ عن كبار أعلامها كابن مرزوق و العقباني . و في أوائل سنة **874** هـ حدثت له حادثة مع سلطان تلمسان ، فنوى الانتقام من الونشريسي ، فانتهبت داره، ففر إلى مدينة فاس و استقر بها، و ما لبث أن برز من بين علمائها ، فكان علمها الأول، و مدرسها، و مفتيها ، وبقي كذلك محترما مكرما إلى أن انتقل إلى جوار ربه، ولعل شهرة الونشريسي التي استمرت طوال قرون، و إلى يومنا هذا لا تزال محل احترام خاص ، ترجع الى مؤلفه الشهير المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب في 12 جزءا يقول عنه التمبوكتي (جمع فأوعى، و حصل فوعى).ينظر : عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العاشر الميلاديين ، المطبوعات الجامعية ، (د،ط) (1995 ،ص:162/ للتوسع ينظر: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي من 1500م –1830م،ج1 ، دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،ص :123-125 .

3- العلامة المصلح الجيلالي بن محمد الفارسي الأصنامي ، واحد من أقطاب جمعية علماء المسلمين، أقيم حوله ملتقى في الشلف في: 26 جوان 2008 م الموافق لـ: 22 جمادى الثانية 1429 هـ

4- عبد الله حمادي ، أصوات من الأدب الجزائري الحديث، منشورات جامعة منتوري قسنطينة ،2000 (د،ط)، ص:41.

5- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، شرح و ضبط و تصحيح : محمد أحمد جاد المولى وآخرون،(د،ط) ص: 473 .

6- محمد صالح البنداق، الجواهر المختارة من تراث العرب ، مجموعة قصائد في الحكم و فلسفة الحياة ،منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1979 ،ص:10-11 .

7- نجيب البهبيتي : تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط4 ،1970 ، ص:03.

8- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المزهر ،ص :470.

9- عادل باناعمة : قليلا من الأدب ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان ،ط2، 2007، ص:61

10- المرجع نفسه ، ص :67و72.

11- المرجع نفسه ص : 26.

12- أنف الناقة : إنما سمي جعفر أنف الناقة ؛ لأن أباه قسم ناقة جزورا و نسيه،فبعثته أمه و لم يبق إلا رأس الناقة ، فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصبعه في أنف الناقة، فأقبل يجره، فسمي بذلك .ينظر: عادل باناعمة: ص:71.

13- عادل باناعمة : قليلا من الأدب ،ص:71.

14- المرجع نفسه ص:74 .

15- عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية و الإسلامية ،ص: 25.

16-أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج08، ص74-75 .

17- المرجع نفسه ،ص:75و 77.

18- المرجع نفسه ،ص:74و 75.

19- عمر بلخير :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ،ط22،1شارع الإخوة مسلم ، الجزائر العاصمة، 2003، ص:101-102.

20- صلاح الدين زرال، الخطاب الأدبي من منظور لساني تداولي : نماذج تحليلية من قصيدة الياقوتة لسيد الشيخ ، مجلة الآداب و العلوم الاجتماعية جامعة فرحات عباس سطيف ، العدد 06 -2008،ص:59.

21- محمد مفتاح :دينامية النص (تنظير و انجاز)المركز الثقافي العربي، المغرب الدار البيضاء ،ط1،1987،ص:72.

22-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص:503.

23- صلاح الدين زرال، الخطاب الأدبي من منظور لساني تداولي،ص: 61.

24- نفسه ،ص: 63.

25- نفسه،ص:64-65.

26- مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل و أطروحات ،رقم04، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق ،(د،ط)،(د،ت)، ص:248.

27- آمنة بلعلى : المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن و تطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، العدد 17،جانفي 2006،ص:288.

28- نفسه،ص:282.

29-صلاح الدين زرال، الخطاب الأدبي من منظور لساني تداولي،ص:66.

30-عبد الرحمن بن عبد الكريم الشيحة، محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، المكتب التعاوني للدعوة و توجيه الجاليات بالربوة،(د، ط)،(د، ت)،ص:25-26.

31- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تحديد الكلام المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، ط2 ،الدار البيضاء، المغرب،2000 ،ص:37-38